الحركات النسائية ومطلب المساواة

أ. محمد العربي كريم

مقدمة

هدفت الحركات النسائية في بداياتها الى المطالبة بحقوقها الاصيلة التي كان المجتمع القديم قد سلبها منها، حيث كان يحط من قيمة المرأة، وقد تطورت أهداف تلك الحركات، إلى أن وصلت المطالبة بالحقوق السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية،من خلال تثبيت مكانتها في المجتمع، ومؤسسات الدولة، وضمان حقها في التصويت الانتخابي، وغير ذلك من الحقوق التي لم تكن تتمتع بها سابقا.

وقد تطورت الحركات النسائية حتى وصلت إلى حد المناداة بمساواة الجنسين في شتى المجالات، وقد ظهرت بداية تلك الحركات مع قيام الثورة الفرنسية في 1789، والتي استلهمت منها النساء أفكار عن الحرية والعدالة والمساواة، ثم تطورت بعد ذلك حتى امتدت لكل أنحاء أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، حتى برزت في الدول العربية مع بدايات القرن العشرين.

أولا: المرأة الغربية وحركة المساواة

يمثل وصول الحركات النسائية إلى شكلها الحالي وبمطالبها المعروفة نتيجة تطورات وتحولات فكرية وأيديولوجية عميقة من جهة وتقبل المجتمع لتلك المطالب من جهة أخرى وتمثل المرأة الفرنسية والبريطانية والأمريكية نماذج عملية لها.

(ISSN : 2536 - 9555)

ففي فرنسا قالت النساء: (لم يكن إعلان حقوق الإنسان سوى إعلان لحقوق الرجال) وقالت النساء في أمريكا: (خذوا مصائرنا المحطمة واجعلوا منها فجراً) وقالت نساء البرتغال غداة تحرير أنغولا وموزنبيق (النساء آخر مستعمرات الرجل)[1]. بمثل هذه الشعارات استقبلت أوروبا وأمريكا في القرن الثامن عشر المطالب النسائية وهي الشعارات التي ما لبثت أن ترجمت إلى حركات نسائية منظمة ومؤثرة في المجتمع وذات نفوذ واسع يتعاظم يوماً بعد يوم. هذه الحركات ركزت في بداية مطالبها على:

***حق المرأة في التعليم والتعليم العالي.**

***الحق في الانتخاب باعتباره أساس الحقوق السياسية الأخرى ومقدمة لها[2].**

لقد كانت هذه المطالب تعبر عن واقع مرير حشرت فيه المرأة وكان عليها النضال لاستعادة حقوقها الطبيعية التي رأت أنها مهضومة وأنها لن ترضى بديلاً عن مساواتها بالرجل وقد تبنى هذه المطالب تيارات أحدهما قديم (first wave) والتيار الجديد أو الثاني ويدعى (second wave)[3].

1- **المرأة الفرنسية ومبدأ المساواة**:

تعتبر الثورة الفرنسية سنة 1987 بمثابة الأرضية أو المرجعية الأساس لمطالب الحركات النسائية بما رفعته من شعارات (المساواة, الحرية, الإخاء) والتي تمثل أفكاراً تحررية أسمعت أذان العالم وقد كانت المرأة الفرنسية في مستوى

(1) مثنى أيمن الكردستاني، حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر مصر، ط1، 2004، ص56 57.

(2) نفسه ص 57.

(3) نفسه ص 58.

الحدث لرفع الغبن عن نفسها وأن تصدح بصوتها وتأخذ حقها من الثورة التي ساهمت في صنعها حيث قامت بتشكيل نوادي وجمعيات للمرأة في باريس والمدن الكبرى الأخرى لتجعل منها منابر للتعبئة والتوعية وكان على رأس مطالبها توسيع فرص تعليم المرأة وتحسنيها والمساواة في ذلك.

***المساواة القانونية في العمل وتولي الوظائف العامة:**

وتوجت هذه المطالب بعمل فكري مهم شكل فيما بعد- كوثيقة فكرية- سنداً أساسياً لحركة المرأة عرف فيما بعد بإعلان حقوق المرأة والمواطنة وكان فيه 17 مادة بشأن تصورهن لحقوق النساء وأودعتها بلدية باريس 1793 وطالبت صاحبة الوثيقة (marygouz) بحق المواطنة للنساء ولكن رد الحكومة الثورية كان قاسياً وفي تناقض صارخ لمبادئ الثورة قامت بإعدامها سنة 1793 وأغلقت جميع النوادي وسنت اللجنة التشريعية نصاً قانونياً اعتبرت فيه المرأة عديمة الأهلية وسحبت منها حق المواطنة وردت الحركات النسائية حينها بقولها: (إذا كان من حق المرأة أن ترتقي منصة الإعدام فمن حقها أن ترتقي المنبر)[4].

لكن وبعد فترة وجيزة وبالضبط سنة 1975 حصلت المرأة الفرنسية على حق الانتخاب وكانت فرنسا البلد رقم 36 في العالم الذي يعترف بهذا الحق وفي العام نفسه أقر مبدأ التساوي في الأجر عند التساوي في العمل[5].

هذا ومنذ ستينيات القرن العشرين شهدت الحركات النسائية موجة جديدة من المطالب كانت غاية في الإفراط مثلتها المفكرة الوجودية المعروفة (سيمون دي بفوار) وكتابها الجنس الأخر وكانت فكرتها المركزية المتفرعة من المدرسة

([4]) نفسه ص 59- 60.

([5]) نفسه ص 61.

(ISSN : 2536 - 9555)

الوجودية تقول: (لا يولد المرء امرأة بل يصير كذلك) وكانت تشدد على أن المرأة ليس لها جوهر أو طبيعة أبدية بل التاريخ والمجتمع الذي تعيش فيه يرسم لها في كل أحقية التجويف من أجل قالب تدعى للتقيد به أو تجبر على ذلك. وقد أثرت هذه الأفكار في الأجيال اللاحقة من النساء حيث بدأ يركز على الحرية المطلقة وأن تمتلك المرأة جسدها لأنه ببساطة ملكها!!!

وقد انطلقت هذه الحركة التي كانت تتحدى المحرمات منذ ألاف السنين وبقوة وبروح معنوية عالية وحجج منطقية قوية وهي تعتقد أنها تخوض معركة الحق والباطل سعياً نحو الحرية والإنعتاق وخلاصة أفكارها:

- المساواة المطلقة والحق المطلق للمرأة في العمل.
- حق المرأة في التعليم والتدريب والإعداد.
- حقها المطلق في ممارسة الجنس مع من تحب وتشتهي.
- رفض مؤسسة الزواج بشكله الذي كان موجوداً واعتباره ارتباطا اختياريا وللطرفين حق تركه ورفضه في أي وقت دون تعقيدات.
- حق المرأة في مراقبة الولادات والإجهاض لأن الأمومة حرية وهي من حقها[6].

2- **المرأة البريطانية ومطالب المساواة**:

اندمجت المرأة البريطانية في الحياة السياسية عام 1840 مطالبة بحق التصويت للمرأة وحقها في التعليم وحقها في المساواة القانونية وما من شك أن الثورة الفرنسية كانت مصدر إلهام لها وأن أول إعلان اعترف للمرأة كصنف

([6]) الكردستاني المرجع السابق، ص 61– 62.

اجتماعي متميز. وشرح المكانة الاجتماعية والقانونية غير المتساوية لها هو ذلك الذي صرح به (آفرابيهن). ولكن أقدم وثيقة فكرية مكتوبة تدافع عن قضية المرأة وتطرح الحقوق السياسية لها كانت تلك التي كتبتها (ماري ويستن كرافت) محتوية على مطالب بشأن حقوق المرأة عام 1792 ولعلها تأثرت بشقيقتها الفرنسية التي كتبت إعلان حقوق المرأة والمواطنة عام 1791 واعتمدت في طرحها على التحليل الاقتصاد(باربارا لي سميث) كتاباً بعنوان خلاصة مختصرة لأهم القوانين المتعلقة بالمرأة وفي عام 1856 نادت بضرورة أن يكون للمرأة المتزوجة ذمة مالية مستقلة وفي عام 1866 قد طلب للبرلمان البريطاني بتوقيع 1500 امرأة لتعديل قانون الانتخابات ليشمل حق المرأة في التصويت والمشاركة لكنه قوبل بالرفض وتزامن هذا الطلب مع طلب تقدم به الفيلسوف الليبرالي المعروف (جون استيورات ميل) (1806–1873) لتأسيس أول جمعية نسائية في بريطانيا للمطالبة بحق المرأة في المشاركة والتواجد في البرلمان وله كتاب في هذه القضية تحت عنوان (استعباد النساء)[7].

وعلى أثر هذا الرفض تكونت العديد من المنظمات والجمعيات النسائية منها الجمعية القومية لحق المرأة في التصويت والمرأة العاملة.

وفي عام 1903 قامت (إميلان بان كرست) مع ابنتها بتأسيس الإتحاد الاجتماعي والسياسي للمرأة ويعتبر أحسن مؤسسة لتمثيل التيار الأول للحركة النسوية في بريطانيا. وهناك منظمة أخرى فاعلة باسم رابطة حرية المرأة وكل هذه المنظمات كانت تقيم الندوات والأنشطة المختلفة بإنفراد او بالتنسيق مع الأخريات وكانت تنزل إلى الشوارع أحياناً في مظاهرات صاخبة واحتجاجات قوية منذ بداية

(7) نفسه، ص 63– 64.

(ISSN : 2536 - 9555)

العقد الأول من القرن العشرين وكانت هذه التجمعات قادرة على كسب النساء إلى صفها.

إن هذا النشاط المتواصل والذي امتد منذ 1792 والذي ابتدأته (ماري كرافت) وحتى عام 1918 استطاعت من خلاله الحصول على حق التصويت في بريطانيا مقيداً بشروط العمر أي فوق الثلاثين. ثم رفعت الحركات النسائية من مطالبهن إلى:

- الأجر المساوي للعمل المساوي ورواتب وضمانات اجتماعية للأرامل.
- المساواة بين معيلي الأسر سواء كانوا رجالاً أم نساء.
- تقنين قواعد رادعة ضد الاعتداء الجنسي على الأطفال.
- التساوي في الفرص في قطاع الخدمات المدنية.
- المطالبة بالاعتراف بالأمهات غير المتزوجات وتقديم الخدمات لهن[8].

هذا وقد شهدت الحركات النسائية في بداية القرن العشرين انقساماً حاداً بين الأوائل والجدد حول تقدير الإنجاب والأمومة وتشريعات الحماية وتدعيم الكيان الأسري, وقد ولد هذا الصراع ميلاد تيار راديكالي متطرف ينظر إلى تحقيق المرأة لذاتها أي ما تراه حقاً له من غير النظر إلى مصلحة المجتمع والأطفال, ولم تكن ثورة الحركات الطلابية والشبابية عام 1968 بمعزل عن تيارات الحركة النسائية, هذه الثورات أدت إلى طرح قضايا الحقوق والحريات بشكل جدي ملح ومن أبرزها حقوق وحريات النساء المتأثرة بالحركات اليسارية والراديكالية والمتشربة بالماركسية

([8]) نفسه ص 65.

والاشتراكية والوجودية وغيرها من المدارس التي تطلق العنان للأفكار التحررية والإباحية (هربرت ماركوس)[9].

وقد عقد أول مؤتمر لتحرير المرأة في سنة 1970 في أكسفورد وشاركت أكثر من 600 امرأة فيه واتفقت فيه الحركة الاشتراكية والليبرالية على طرح هذه النقاط كمطالب جامعة لها:

- الأجر المساوي للرجل.
- دور رعاية الأطفال بصورة دائمة 24/24 لكي تقتصر الأمومة على الحمل والوضع فقط.
- حق الإجهاض في حالات الضرورة.

كما نادت الجمعيات النسائية كجمعية (LNLM) حركة تحرير المرأة بعدة مطالب ولاسيما منها حق المرأة في العمل الليلي أسوة بالرجال وضرورة حصول المرأة على الحقوق والامتيازات التي توجد في في وثيقة المرأة العاملة. لكن مع ذلك هناك تطور هام في مطالب الحركات النسائية ومنذ الستينيات من القرن الماضي برزت داخل هذه الحركات العديد من الاختلافات الأيديولوجية غذتها تأثرها بالمدارس الفلسفية مثل (حق الإنجاب ,حق الإجهاض ,حرية الأمومة ,حق الشذوذ الجنسي للمرأة) وهي مطالب لا تقبل المساواة والتي تعتبرها من حقوق الإنسان[10].

([9]) نفسه ص 66- 67.

([10]) نفسه ص 67- 68.

(ISSN : 2536 - 9555)

3ـ المرأة الأمريكية ومبدأ المساواة:

من المفهوم أن السياسة كانت الاختبار الأول لما حققه دعاة حق المرأة الانتخابي بصدور التعديل التاسع عشر لقد ادعت زعيمات الحركة النسائية أن التوسع في حق الانتخاب من شأنه التعجيل بالموافقة على التشريع الخاص بالرفاه الاجتماعي, وكانت أمالهن معلقة على الغرض بأن المواطنات بحكم جنسهن سيعملن كقوة موحدة لتحقيق التحول الاجتماعي.

لقد أثارت تهديدات (أليس بول) زعيمة حزب النساء الأهلي بتشكيل قوة سياسية مستقلة مؤلفة من النساء وحدهن ,و هو ما دفع المؤتمر الديمقراطي المنعقد بحلول 1920 على الموافقة على أثني عشر اقتراحا من بين خمسة عشر اقتراحا لرابطة الناخبات ووافق المؤتمر الجمهوري على خمسة اقتراحات. وقد دعا (وارين هارنج) المرشح الجمهوري للرئاسة الزعيمات البارزات إلى منزله وألقى كلمة دعا فيها إلى المساواة بين الجنسين وتأييد التشريع الخاص بالأمومة والطفولة وإنشاء إدارة فيدرالية للرخاء الاجتماعي كما عين الحركات في لجانها الأهلية النساء كأعضاء على قدم المساواة مع الرجال ورشح كل حزب منهما بعض النساء لمناصب حكومية[11].

ومع أن دور النساء السياسي جذب انتباهاً كبيراً بعد صدور التعديل الخاص بحق الانتخاب فإن الكثير من زعيمات الحركة النسائية كن ينظرن إلى أنشطة النساء الاقتصادية على أنها قياس أكثر دقة لحرية الأنثى وقد أتاح الاقتراع

([11]) وليم هـ تشيف، المرأة الأمريكية أدوارها الاجتماعية والسياسية 1920– 1970، ترجمة نور الدين الزراري، القاهرة، 1979، ص 18– 19.

فرصة هامة للتأثير على السياسة العامة ولكنه في حد ذاته لم يفعل شيء ذا بال يذكر للقضاء على انقسام العمل الجنسي ولتغيير مكان المرأة في البيت. وقد أصبحت تجربة النساء الاقتصادية داخل هذا الإطار في السنوات التي أعقبت عام 1920 مقياساً هاماً لما سبق أن تحقق من مكاسب وفي غمرة هذا التفاؤل الذي تولد خلال الحرب العالمية الأولى كانت زعيمات الحركة النسائية مقتنعات بأن عصراً جديداً للمساواة الأنثوية على وشك أن ينبثق فجره[12].

ولقد جاءت في كلمة ألقتها (مارغرت درير رونز) في رابطة نقابة العاملات عام 1917 أنه مهما كانت روعة هذه الساعة للديمقراطية والعمل فإنها تعتبر أول ساعة في التاريخ فنساء العالم وأخيراً وبعد قرن من العجز والتفرقة بدأت النساء يدخلن ميدان العمل ويشتركن في مهرجان الحياة على قدم المساواة مع الرجال. وقد بين الإحصاء الذي أجري عام 1920 أن أكثر من 8 ملايين أنثى استخدمت في 437 وظيفة متنوعة[13].

هذا ما دفع الكثير من المراقبين إلى القول أن العصر يعتبر عصراً لا مثيل له للتحرر الشخصي. لقد كانت الحرية الاقتصادية في نظر الكثيرين مسئولة مسؤولية مباشرة عن تحررها. لقد كانت الوظيفة نقطة انطلاق حرجة في سعي المرأة للحرية وتمثل جزءاً لا يتجزأ من حياة الانطلاق[14].

وأتاحت الحكومة قوة الدفع للحملة الخاصة باجتذاب العاملات من النساء وقال (كول ماكنات) رئيس لجنة القوى البشرية الحديثة أن الاعتراف بأن تشجيع

([12]) نفسه ص 31.
([13]) نفسه ص 31.
([14]) نفسه ص 32.

(ISSN : 2536 - 9555)

النساء على دخول الصناعة يعتبر عرضاً هائلاً من عروض البيع. ومهمة هذه اللجنة هي بذل جهود واسعة النطاق للحصول على موظفات وعاملات من الإناث. وحث الجنرال (هيرشي) رئيس إدارة اختبار جميع هيئات الصناعة والزراعة على استخدام النساء في المصانع والمزارع والمكاتب.

إن أنشطة النساء الاقتصادية في سنوات الحرب أتاحت إلى حد كبير دليلاً مقنعاً على مثل هذه النتائج ولقد اكتسحت مقتضيات الأزمة التقاليد العتيقة ووضعت أسس جديدة لصنع الأشياء وقد حلت النساء محل الرجال في الكثير من الحقول التي كانت من المحرمات عليهن وأصبحت الزوجات تمثل نسبة مطردة الزيادة التي تطلع بمسؤولية متساوية مع الزواج للحصول على دخل العائلة وأهم من ذلك موقف الرأي العام من عمل المرأة قد تغير على الأقل موقفاً من الاستنكار الصريح إلى الموافقة المتسامحة.

على أن هذا التطور الإيجابي في نظر البعض كان يحمل أثاراً سلبية وبخاصة إذا كان متعلقاً باستقرار الحياة العائلية. فثمة بعض الأمريكيين من يقول أن النساء العاملات تمثل خطراً على تماسك الحياة الاجتماعية وسلامتها ومن ثم فإن استخدام المرأة ممكن تحمله كضرورة مؤقتة ولكن لا كحقيقة دائمة.

ولقد أصابت المصلحات من النساء في تمرير قانون (شيردتاوتر) المثير للجدل الذي يدعو إلى اعتماد مليار دولار سنوياً للإرشاد التعليمي في حقل الرعاية الصحية للأمهات والأطفال حينما طرح في شهر مايو 1921 وكذا قانون 1922 الخاص بإصلاح وتعديل شروط المواطنة للنساء المتزوجات. وقانون (ليهل باخ) الصادر في1923 برفع مستوى نظام الاستحقاق في الخدمة المدنية وإضافة تعديل العمل الخاص بالطفل إلى دستور في عام 1924 ويمكن القول أنه

بوصول (آل روزفلت) للحكم فإن حرم (روزفلت) المقيمة في البيت الأبيض وبتشجيع من زوجها الداعي إلى اشتراك النساء في الشؤون الحزبية وقد أتاح ذلك فرصة للعاملات في الخدمة الاجتماعية لوضع مبادئهن موضع التنفيذ عن طريق الخدمة الحكومية وهو ما شجع (ماري ديوسون) زعيمة رابطة المستهلكين الأهلية والصديقة المقربة إلى (آل روزفلت) والتي اطلعت بتوجيه الحركة النسائية ونشاطهن داخل الحزب الديمقراطي في عام 1932 كما نجحت في إدخالهن المجالس الحزبية. ولقد أقامت تجربتها الدليل على أن الإناث يمكن أن يعملن بطريقة فعالة داخل النظام الحزبي[15].

وأمام هذه المكاسب المحققة والتي بدأت تتحقق بشكل تصاعدي فإن الزعامات النسائية كن يفتقرن إلى السلطة المستقلة لكي يفرضن الاعتراف بمساواتهن بالرجال. مما حدا ببعض الأمريكيين إلى القول أن داعة حق الانتخاب للمرأة بقي في الواقع دون أساس فقد أثبتت الأحداث اللاحقة مدى توقف نجاح النساء على عطف هؤلاء الذين في الحكم. إن التعديل التاسع عشر كان إصلاحاً لا ثورة[16].

هذا ولم يفت الحركات النسائية الاستمرار في الضغط على الحكومة والكونغرس فبعد قرار المساواة في الأجر سنة 1963 سن الكونغرس سنة 1964 إعلان الحقوق المدنية وأنشأت لجنة فرص العمل المتساوية لمنع التمييز في التوظيف. وفي سنة 1972 فرضت تجريمات أكثر صرامة على التمييز الجنسي في التعليم العالي وكان هذا إنجازاً للحركة النسوية التي أصبحت قوية وفاعلة فقد

([15]) وليم المرجع السابق ص 24– 25.

([16]) نفسه ص 28– 30.

(ISSN : 2536 - 9555)

وصفها أحد الكتاب بقوله (كانت حركة النساء حركة غير متوقعة ولا يمكن التنبؤ بها وغير معلن عنها ولكنها كانت هناك فجأة تسيطر بقوة مرعبة على الحكومة والعمل والجامعات ووسائل الإعلام وغيرت بالفعل اللغة التي يتكلم بها عن النساء)[17].

لقد تعددت التيارات النسائية في هذه الفترة وتعددت معها مرجعياتها الفكرية وكيفية ترتيبها للأولويات في هذا الصراع وشابتها الكثير من العنصرية والتقسيمات الطبقية إلى حد ما[18] .

ومن الستينيات ظهر هناك تطور ملحوظ ونوعي في الطرح حيث وسع التيار الجديد من مطالبه من مفهوم للاقتصاد والسياسة إلى الجنس والجسم والعاطفة وبقية أبعاد الحياة الأسرية والاجتماعية فأضحت قضايا سياسية فابتكرت هذه الحركة شعار (personal is political) أرادت من خلاله إحداث نمط حياتي جديد للمرأة من خلال تغيير بنية الوعي وطريقة التفكير للنساء خاصة وللمجتمع عامة وهكذا ظهرت الحركة الراديكالية شيئاً فشيئاً[19].

وفي عام 1936 ألفت (بيتي فريندس) كتاباً حول خصوصيات الأنثى شرحت فيه كيف أن الطبقة المتوسطة من نساء البيض من غير إدراك منهن قد أدت علاقاتهم الجنسية الزوجية إلى حبسهن في البيوت وأسست هذه (المنظمة القومية للمرأة) وكانت في البداية تتبنى أجندة إصلاحية تدعو إلى التغيير في القوانين لصالح المرأة وزيادة فرصتها من التعليم. وتطورت حتى استطاعت الدعوة

([17]) الكردستاني المرجع السابق ص 72.
([18]) نفسه ص 73.
([19]) نفسه ص 74.

إلى المساواة الجنسية المطلقة للجنسين وقد رفعت المرأة الأمريكية وتحديداً عام 1990 شعارات تنادي بمطالب منها:

- عدم استخدام المرأة في الدعاية والإعلانات ووقف هذه المسألة.
- نددت باستخدام العنف ضد المرأة السوداء في المجتمع أو داخل الأسرة.
- تأمين حقوق ضحايا الإيدز.
- مساندة المرأة في العالم الثالث بتأمين حقوقها ورفض العنف الذي يمارس ضدها[20].

وكسبت هذه المنظمات النسوية تأييد الكثير من الأمريكيين ومنها تأييد الحزب الديمقراطي والرئيس كلينتون، ومنذ منتصف التسعينات برز إلى السطح تحول أخر في مطالب الحركة النسائية في تركيزها على الفرد وظهر ذلك في الحديث عن الإجهاض والإصرار عليه كحق أساسي لمساواة المرأة السياسية بالرجل لأنه يحرر المرأة من عبء الحمل. كما شرعن في نقد المؤسسة الأسرية ويجادلن في القوانين التي تعطي أي ميزة للرجل في الأسرة مما يطرح العديد من التساؤلات والفروق بين التيارات النسائية الأول والثاني وتناقض أطارحيهما. فالقانون العادي (Common law) المبني على العرف والعادة لم يكن للنساء فيه أية ذاتية مستقلة وتركز جهد الأنثوية في العمل على حصول شخصية قانونية للمرأة. وهي حركة تختلف عن المطالب النسائية الجديدة وكانت (سوزان أنطوني) وغيرها من المناضلات معارضة للإجهاض بشدة وتعتبر الزواج رباطاً هاماً يحمي المرأة والأسرة وضد قوانين الطلاق المتحررة.

([20]) نفسه 74، 75.

(ISSN : 2536 - 9555)

هذا وقد باتت الحركات الجديدة تضغط بقوة على الحكومة والكونغرس لتصديق على اتفاقيات مكافحة أشكال التمييز ضد المرأة المعروفة بـ (CEDAUX) وهي اتفاقية تتجاوز بها المرأة القيم الحمراء[21].

تيارات حركة المساواة في الغرب:

تمثل الحركات المطالبة بالمساواة بين الرجل والمرأة في العالم الغربي انعكاسا للمفاهيم والنظريات التي سادت في زمنها في الغرب وما التحولات التي طرأت على برامجها إلا استجابة لتغيرات إيديولوجية وفلسفية طرأت على الأفكار والقناعات.

وما من شك أن هذه التيارات أثرت على صياغة مطالب هذه الحركات وبلورت أفكارها وجعلتها تخرج عن مسارها الأصلي وتتحول إلى إيديولوجيا خطيرة على القيم الأسرية.

1. التيار الأول والثاني:

يعتبر تاريخ 1968 في أمريكا بمثابة ميلاد التيار الثاني وهو فرع نسائي جديد أكثر تطرفاً وراديكالية حيث استخدم أعضائه وسائل عنيفة لإبراز القضية والفروق الموجودة بين التيارين فروق جوهرية ومتعددة منها:

- **التيار الأول** دعا إلى ضرورة المشاركة السياسية للمرأة في الانتخابات والحضور في الوظائف العامة والمواقع الدستورية.

(21) نفسه ص 75، 76.

- **التيـــار الثـــاني** وســع مفهــوم السياســي مــن الأمــور ورفــع شــعار (PERSONALIM PLITICAL) واعتبـر كـل أمـر شخصـي سياسـياً وعاماً.
- التيار الأول نادى بالمساواة كقضية مركزية لكن التيار الثاني تجاوز ذلك إلـى إدخـال مفهـوم المسـاواة المطلقـة والتـي تشـمل إلغـاء كافـة أشـكال التمييـز بـين الـذكر والأنثـى حتـى ولـو اقتضـتها الطبيعـة البيولوجيـة والسيكولوجية للجنسين وأدخلوا المساواة الجنية في مفهوم المساواة.
- التيـار الأول كـان ينـادي بإصـلاحات قانونيـة محـددة يغلـب عليهـا الطـابع المـادي ولكـن الثـاني كـان يطالـب بإصـلاحات شـاملة تتجـاوز تحسـين وضع المرأة إلى تغييرها.
- التيار الأول يؤمن بتكامل الأدوار بين الجنسين فيما التيار الثاني يرى أنها رؤية معرفية وتكاملية نابعة من الإيمان بأن الأنثى كيان منفصل عن الذكر متمركزة حول ذاتها بل في حالة صراع كوني تاريخي معه[22].

وبنـاءاً علـى هذه الفروق الجوهريـة يمكـن القول أن التيـار الأول قريـب مـن البيئة العربية والإسلامية بينما التيار الثاني فهو تيار يطالب بضرورة إحداث تغيير في بنية الثقافة التي يمكن وصفها بأنها ذكورية وأن العلاج الظاهري المؤسساتي لمشكلة المرأة لا يعني حلاً لها. بل لابد من إحداث تغيير في بنية الثقافة المنتجة لتلك المؤسسات.

([22]) الكردستاني المرجع السابق ص 107.

(ISSN : 2536 - 9555)

المدارس الفلسفية وقضية المساواة:

تمثل المدارس الفلسفية والأيديولوجية المرجعية الفكرية للعديد من المنظمات والتجمعات النسائية التي سعت إلى الإفصاح عن أفكارها وأطارحيها وأهمها:

1ـ الليبرالية الاجتماعية وحركة المساواة:

وتعني سيادة الحريات الفردية والعلاقات الخاصة حسب نظم الحياة الغربية من دون التقيد بالأخلاق والضوابط الدينية[23]. من أبرز دعاة هذا التيار (جون إستيورات ميل) وهو يختلف عن التيار الراديكالي المتطرف وينادي هذا التيار بالمبادئ التالية:

- لا يتبنى شعار المساواة المطلقة.
- اقتصر على قضايا الحقوق السياسية والاقتصادية.
- طالب بتحسين وضع المرأة وتوسيع فرصها دون الحديث عن تغييرات جذرية في بنية المجتمع وعلاقات الجنسين[24].

2ـ الشيوعية أو الماركسية وحركة المساواة:

تكاملت هذه المدرسة على يد الكثير من الفلاسفة والمفكرين من قبيل (ماركس, إنجلز, لينين, تروتسكي) وهي تيار ينطلق من إلغاء الفوارق الطبقية كضرورة لتحسين وضع النساء وهو يكافح ضد الرأسمالية لأنها تتضمن السلطة الأبوية وتتضمن تمكين القوي (الرجل) في تضعيف (المرأة) ولا تعطي فرصة

([23]) نفسه ص 86.

([24]) نفسه ص 88.

للمساواة ويعتبر (جارودي) من أنصار الماركسية الجديدة. كذلك تدعو إلى إعمال الفكر من خلال أطريح جديدة وجذرية لعلاج قضية المرأة لا تعتمد على التحليل الاقتصادي فقط كما هو شأن الفكر الشيوعي بل على التحليل الثقافي أيضاً. كما ينادي هذا التيار:

- تحرير المرأة مرهون بزوال الرأسمالية والملكية الفردية وتحقيق الاشتراكية ومن ثم فإن ألام المرأة سوف تستمر حتى يتحقق ذلك.
- المرأة إنسان ومكافئة للرجل ويمكنها القيام بأي شيء يمكن أن يقوم به الرجل. لكن أهم ما يؤخذ على هذه المدرسة حرية المرأة في علاقاتها الجنسية مع الرجال ولا يمنعها الزواج من ذلك لأنها ليست ملكاً فردياً للرجل على ما يترتب على هذا الطرح من تداعيات خطيرة جداً على كيان المجتمع وتقويض الأسرة الدعامة الأساسية لها[25].

3ـ الوجودية وحركة المساواة:

الوجودية هي فلسفة التجارب الشخصية والفردية وهي فلسفة ممارسة وتحقيق الذات,فلسفة الشك والرفض قبل القبول واليقين هذه الفلسفة أثرت على أجيال عديدة في العالم وخصوصاً أواسط القرن العشرين ويعد (جون بول سارتر) وكذا رفيقة دربه (سيمون دي بوفوار) صاحبة كتاب الجنس الأخر الخاص ببيان النظرة الوجودية في القضية النسوية .

انطلقت هذه المدرسة من نقد المدخل البيولوجي وفيما إذا كان يصلح كنظرية لتفسير وضع المرأة في المجتمع؟ وترى أنها لا تقرر مصيرها نهائياً ولا تجيب لماذا

([25]) نفسه ص 90– 97.

(ISSN : 2536 - 9555)

تعتبر المرأة الجنس الأخر. كما وجهت نقداً للمدرسة (الفيرويدية) أو مدرسة التحليل النفسي باعتبارها ركزت على الاختلافات الفسيولوجية بين الجنسين وأن هذا الاختلاف ولد مركب نقص يلازم المرأة وهو ما يعني إهمال عوامل أخرى أكثر أهمية وتأثيراً في المسألة[26]. وهي توافق المدرسة الشيوعية في بعض ما ذهبت إليه كونها أبرزت أن الإنسانية ليست نوعاً حيوانياً بل واقع تاريخي وهي إذ تنتقد هذه المدارس تؤسس لأرضية جديدة ترى أنها منطلقاً لأفكارها وهي أفكار جريئة بها دعوة للثورة والتمرد على هذا الواقع فهي كحلكم بعالمها الخاص والذي فيه:

- يكون الرجال والنساء فيه متساويين يعمل النساء والرجال في نفس الظروف والحقوق والواجبات.
- الاستقلالية الاقتصادية للمرأة.
- الارتباط بين الزوجين حر ينهى متى شاء أحد الطرفين.
- حرية الأمومة.
- المساهمة في الإنتاج والتحرر من عبودية التناسل[27].

وترى أيضاً أن الاختلال في المساواة بين الطرفين هو نتيجة للاختلال في الوضع الاجتماعي والتنشئة وليس بسبب اختلاف الظروف البيولوجية.

4ـ الراديكالية وحركة المساواة:

هذا التيار يعتبر نزعة وطريقة للتناول والمعالجة أكثر منه مدرسة فلسفية لها رؤيتها الخاصة ويمثل هذا التيار ردت فعل عنيفة لواق فاسد وظالم تجاوز فيه

(26) الكردستاني المرجع السابق ص 79– 99.
(27) نفسه ص 102– 103.

حدود الواقعية مفرطاً في الانحياز للمرأة ومتجاهلاً السياق الاجتماعي ومصالح الطرفين التي تعلو عليهما ويمكن إيجاز مطالبها فيما يلي:

- تحليل الواقع التاريخي للمرأة ومدى القهر الذي تعرضت له خلال ألاف السنين من الرجل.
- التغيير الجذري في مجموع علاقات الجنسين داخل الأسرة وفي المجتمع على حد سواء بزوال السلطة الأبوية واستئصالها وصولاً إلى المساواة المطلقة وسيادة علاقة النوع في المجتمع أو ما يسمى (GENDERIZATION OF SOCIETY)[28].

حركة معارضة المساواة بين الجنسين والحق الجديد:

في هذا السباق المحموم بين دعاة المساواة برز تيار أخر هو الحركة المعادية لمساواة الجنسين وحركة الحق الجديد فقامت في الغرب العديد من المنظمات كـ (النساء اللاتي يردن أن يكن نساء) و(سعادة الأنوثة) و(النساء المعارضات للمساواة) بإعلان أهدافهن المعارضة للمساواة بين الجنسين وهي بالخص منظمات أمريكية امتازت بمهارات تنظيمية رائعة ففي عام 1972 أسست (فيليس شلافلي) وهي من زعيمات الجناح اليميني منظمة أوقفوا قانون حق المساواة وشنت نقداً لاذعاً لتيار المساواة ووصفتهن بأنهن مجموعة من النساء المتعصبات اللاتي ينشدن حلاً دستورياً لمشاكلهن الشخصية كما وصفتهن بأنهن لا ينتمين لي من الجنسين وأنهن خطيرات حيث قالت (انظري بنفسك إلى مظهرهن المهمل وعلى الشواذ والراديكاليات والاشتراكيات) ورأت أنهن نساء رفضن

([28]) نفسه ص 103.

(ISSN : 2536 - 9555)

الأنوثة,رفضن أدوار الزوجة والأمومة التي أعطهن الله إياها. مما أحدث تخوف لدعاة قانون المساواة, وحمل الأطفال الصغار لافتات تقول (من فضلك لا ترسل أمي للحرب). كما اتهمت المعارضة اليمنية أن قانون حق المساواة يؤدي إلى عدم تجريم الاغتصاب ويعطي الصفة القانونية للشذوذ الجنسي[29].

كما ربطت شلافلي في أول هجوم لها على قانون حق المساواة بينه وبين مجلة المرأة وحركة تحرير المرأة قائلة (إن مجلة المرأة ضد الأسرة وضد الأطفال وتأيد الإجهاض وهي سلسلة من شكاوي نساء غير متزوجات يتسمن بسلاطة اللسان وعلو النبرة والتباكي وهن يعتبرن البيت سجناً والزوجة والأم إماء.

إن تحرير المرأة اعتداء تام على دور المرأة الأمريكية كزوجة وأم وعلى الأسرة باعتبارها الوحدة الأساسية للمجتمع وهن يشجعن إنشاء مراكز رعاية نهارية فيدرالية للأطفال بدلاً من البيوت , ويشجعن إجراء عمليات الإجهاض بدلاً من تكوين الأسر[30].

وفي خط متوازن مع نمو الحركة المعارضة لقانون حق المساواة نشأت حركة قومية مؤيدة لحق الحياة معارضة للإجهاض في أعقاب قضية (روضد ويد) وفي عام 1980 بلغ أعضائها حوالي 11 مليون شخص ورأوا أن الإجهاض انتهاك للقيم الأساسية لمعاني الأنوثة والعلامة الجنسية والحياة الإنسانية مما دفع

([29]) سارة م إفانس، الحرية ونضال المرأة الأمريكية، ترجمة أميرة فهمي، القاهرة، ط 1، 1992، ص386.

([30]) سارة مرجع سابق ص 387.

بالكونغرس إلى حضر استخدام الأموال الفيدرالية لتمويل عملية الإجهاض التي يطلبها الفقيرات من النساء[31].

هذا ومع دخول قضايا من صميم الحياة الشخصية والبرامج السياسية طالب اليمين الحزب الجمهوري بتمثيل (أغلبية أخلاقية) في قضايا الأسرة وبالتحديد قانون حق المساواة والإجهاض[32].

وهكذا استطاع هذا التيار طرح المسألة الأخلاقية بشكل أكثر حدة بعيداً عن الليبرالية وقيمها المتطرفة التي تنزع من الإنسان إنسانيته.

هذا عن العالم الغربي فهل كان العالم العربي يعيش بمعزل عن هذه التحولات؟ أم كان في الموعد؟

ثانيا: المرأة العربية وحركة المساواة بين المحافظة والانفتاح

منذ أن سلكت الثورة الفرنسية سبيل الواقع العلمي وبإقرار الثالوث المقدس (حرية, إخاء, مساواة) سرت عدواها على الوطن العربي منذ الحملة الفرنسية على مصر وقيام حركة محمد علي باشا وبداية التواصل مع الغرب في إطار البعثات العلمية وقد تمخض عن ذلك قيام حركة إصلاحية داخل الوطن العربي بدئت من مصر.

ولاحت في أفاق الوطن العربي تباشير الإصلاح وكانت المرأة في دائرة الضوء لأنها واقع يلامس الدين والسياسية والاقتصاد وسائر جوانب الحياة ونظراً لأن المرأة تمثل الثالوث المحظور في الوطن العربي والمتمثل في الحرية والجنس

([31]) نفسه ص 387.

([32]) نفسه ص 388.

(ISSN : 2536 - 9555)

والمرأة فقد انقسم الشارع المصري بين داع للإصلاح داخل الشرع وبين داع للإصلاح في إطار العولمة والحداثة .

دعاة المساواة من رفاعة الطهطاوي إلى قاسم أمين:

يعتبر رفاعة الطهطاوي أول نافخ في بوق المساواة وتحرير المرأة فخلال تكوينه في فرنسا (1826–1831) والتي كانت فترة مثمرة بكل المقاييس مكنته من اختراق المنظومة الفكرية السائدة داخل البلاد العربية الإسلامية بعدما عاد متشبعاً بأفكار جديدة وممتلئاً بثقافة واسعة ومتمسحا لنقل العلوم التي تزود بها وإشاعتها بين مواطنيه فقد أثمرت مغامرته حصيلة من الأفكار والمفاهيم كانت ذات تأثير عميق على الساحة الفكرية المصرية جعلت منه منظراً للأمة متجاوزا بأفكاره حدود القطرية إلى رحابة العالم العربي والإسلامي بما قام به من إدخال مبادئ الثورة الفرنسية إلى النهضة الوطنية الحديثة. فخلال هذا العمل النهضوي أسس رؤية مغايرة للمرأة عن تلك التي كانت سائدة في المجتمع المصري ويعتبر كتابه (تلخيص الإبريز) و(المرشد الأمين للبنات والبنين) الذي تحدث فيه عن تعليم البنات والذي طرح فيهما مفاهيم مغايرة لما كان سائداً حينها في مجتمعه عن المرأة والنسق الاجتماعي الذي يحدد وضعها وكذا العلاقات بين الجنسين وأدوارهما ومن خلال هذه الصورة يتجلى دوره التأسيسي في الخطاب العربي الحديث[33] المتعلق بالمسألة النسائية مجسداً بذلك النمط النسوي الأوروبي في هذا الخطاب

([33]) فاطمة الزهراء أزرويل، المسألة النسائية في الخطاب العربي الحديث من التحرير إلى التحرر، القاهرة، ط1، 2004، ص23– 24، ينظر: علي شلق، التطور التاريخي لأوضاع المرأة العربية في الوطن العربي، مقال منشور ضمن سلسلة مركز الدراسات الوحدة العربية "المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية" بيروت، ط1، 1982، ص 33.

المختلف عن نمط المرأة العربية المسلمة ذلك أن المرأة في المجتمع الفرنسي كما عاينه في نهاية العشرينيات من القرن التاسع عشر تعلمت واختلطت بالرجل واقتحمت مجال العمل وحضيت بالاحترام في المجال العام وكلها أدوار وعلاقات لا عهد للمرأة والمجتمع العربي بها في تلك الفترة[34].

المساواة بين الجنسين:

يقول الطهطاوي عن النساء الفرنسيات: (فهن كالرجال في جميع الأمور) هكذا يمكن معرفة ان المساواة بين الجنسين تشكل أساس العلاقة بينهما في المجتمع الفرنسي وذلك على عكس المجتمع العربي الإسلامي الذي ترسخت فيه ظاهرة التراتبية بين الجنسين وتجسدت في الفصل الصارم بين ادوار كلاً منهما وبين المجالين الخاص والعام.

لقد نقل الطهطاوي التصورات السائدة عن المرأة لدى الفرنسيين للإلقاء الضوء على الأسس الفكرية التي أنارت العقول بشان النساء ومهدت لمنحهن مكانة ومكاسب هي مغيبة في أرض العرب والمسلمين[35].

ولعل مسالة المساواة بين الجنسين أهم هذه الأسس فبالنسبة له العقلية الأوروبية تجاوزت مرحلة اعتبار المرأة أدنى من الرجل وأنها توصلت إلى أن الاختلاف بينهما لا يتعدى جوانب من التكوين الفسيولوجي وعن فكرة المساواة هذه في الحقوق والواجبات وكذا التركيز على التعليم والأدوار النسوية الجديدة لم

([34]) فاطمة الزهراء، المرجع السابق، ص 26- 27.

([35]) نفسه ص 27- 28. ينظر أيضا أحمد محمد سالم، المرأة في الفكر العربي الحديث قرأة في معارك عصر التنوير، مصر، 2012، ص 48.

(ISSN : 2536 - 9555)

توضح مقصده فيما إذا كانت دعوة للمساواة بين الجنسين أم كانت نظرة المتفحص المدقق لوجه المقارنة بين الشرق والغرب ونظرة كل منهما للمرأة[36].

خطاب الطهطاوي المعلن والمضمر:

على الرغم من التوجه الليبرالي للشيخ إلا أنه لم يتخلص من النظرة السلفية للمرأة التي ترى في المرأة متاعاً للرجل رغم قوله بان المرأة مساوية للرجل من الناحية الطبيعية البيولوجية. وعلى الرغم من تأكيد الطهطاوي على مدى اقتراب المرأة من الرجل في الهيئة وباستثناء مواضع الذكورة والأنوثة إلا انه عاد وأظهر الخلاف (وبالجملة ألطف شكلاً من الرجل) وهو يرفض أن تعمل بالسياسة ولا دخول معترك الرجل فهي في الغالب عليها ملازمة البيت مما يشكل استمرارا للرؤية السلفية لديه وهي دائماً تحاول ان تعطي اليد العليا للرجل في كل شيء بصرف النظر عن المهام التي مكن أن تقوم بها المرأة في المجتمع الإنساني وأن المرأة هي أساس المجتمع البشري فعليها استقرار الحياة الإنسانية وعليها يتوقف مدى الرقي والتحضر التي يمكن أن يعيش فيها المجتمع الإنساني ولكن الواضح دائما في الخطابات الدينية أنها تكرس السلطة الأبوية في المجتمع وذلك استمرار لهذه السلطة في عصور ما قبل الإسلام. ولكن السلطة الأبوية ما بعد الإسلام تكتسب غطاءاً دينياً أو تبريراً إيديولوجياً[37].

لقد كان الطهطاوي رجل إصلاح وطرق موضوع المساواة بين الجنسين بقوة وتلاه خير الدين التونسي وابن باديس الجزائري وجمال الدين الأفغاني ومجمد

([36]) فاطمة الزهراء المرجع السابق ص 28، أحمد سالم المرجع السابق ص 48.
([37]) فاطمة الزهراء المرجع السابق ص 30.

عبده ورشيد رضا وتلاميذهم كسعد زغلول وقاسم أمين صاحب كتاب (تحرير المرأة) هذا الأخير المحسوب على تيار المساواة والانفتاح.

لكن هل كانت دعوة المساواة تنبع عن عمق اقتناع لفكر جديد أم محاولة إصلاح من داخل منظومته الفكرية السائدة ؟ وهو ما تنبه له العديد من الباحثين.

بين قاسم أمين وناقديه:

اهتم قاسم أمين بأن يتحدث في قضية المساواة أولاً من منطلق شرعي فرأى: (أن الشرع الإسلامي سبق كل شريعة في تقرير مساواة المرأة بالرجل)[38] ورغم هذه الإشادة بالشريعة الإسلامية ومساواتها للمرأة بالرجل في الحقوق إلا أنه لم يطلب مساواتها في التعليم إلا في المرحلة الابتدائية فقط.

كما أنه لم يطلب المساواة معها في الحقوق السياسية وربما كان هذا نتيجة ضغط التيار المحافظ عليه. ومع ذلك فقد انبرى لتحطيم تلك التوجهات التي ترى أن طبيعة المرأة أحط من طبيعة الرجل كما رد على أولائك الذين يتهمون المرأة بنقصان العقل[39]. وإذا كان قاسم أمين شجاعاً فيطرحه ودافع عن المرأة ضد الذين يبرزون الخلاف البيولوجي بينها وبين الرجل لصالح الرجل فهذا لا يعني أنه لم يقر القوامة ويرى: (أن الشرائع الأوروبية قد نحت هذا المنحى فخولت للرجل مثل هذه السلطة على زوجته وسمتها سلطة الزوجية ومع ذلك فكل إنسان يرى النساء الغربيات متمتعات بحريتهن)[40].

([38]) قاسم أمين، تحرير المرأة، مصر، 1993، ص 27.
([39]) نفسه ص 36-40.
([40]) نفسه ص 40.

(ISSN : 2536 - 9555)

ويضيف أحد الباحثين أن موقف أمين من مسألة الخلاف الجوهري بين طبيعة المرأة وطبيعة الرجل يتفق مع ما سبق أن ذهب إليه (جون إستيوارت ميل) 1806–1873 الكاتب الإنجليزي في كتابه عن خضوع النساء فهو يقر أن لا فروق عقلية بينهما وأن القول بأن للنساء طبيعة مختلفة عن الرجال وأن ما يسمى بطبيعة النساء شيء مصطنع نتيجة للتشويه الذي تعرضت له المرأة من قبل الرجل وأن هذه الفوارق العقلية الموجودة هي نتيجة للخلل في التربية وبالتالي فإنه إذا تركت طبيعة النساء تأخذ اتجاهها بحرية وبدون قيد عليها فلن يكون هناك أي فروق ملموس وهذا يؤكد توافق قاسم أمين مع ميل حول طبيعة المرأة ودعوة كل منهما إلى المساواة بين المرأة والرجل[41].

لكن في المقابل فدعوة قاسم أمين رغم أنها فرضت موضوع المرأة وأقحمته في دائرة التفكير العربي إلا أنه تعرض لنقد شديد من التيار المحافظ المتشدد.

ركز ناقدوه على أهمية الخلاف البيولوجي الذي رفضه قاسم امين فهذا طلعت حرب يقول: (ليس بعد الحس دليل أن المرأة أضعف جسماً وإدراكاً)[42] وأن جميع الشرائع السماوية أجمعت على ما سلم به الطبع والعقل بأن المرأة أضعف من الرجل وأقل منه في سائر الحيثيات جسماً وإدراكاً وأن الرجال قوامون على النساء. وهو يستند في حججه هذه إلى العديد من الأيات القرآنية والأحاديث النبوية والأقوال المأثورة وذلك لكي يدعم وجهة نظره عن ضعف النساء ويتسأل طلعت حرب إذا كانت المرأة مساوية للرجل من الجهتين الجسمية والعقلية فلماذا رضخت كل هذه الألوف المؤلفة بسلطان الرجل وجبروته[43] ورداً على ذلك يتسأل

(41) محمد سالم، المرجع السابق ص 211– 212.
(42) نقلا عن محمد سالم، المرجع السابق ص 212.
(43) نفسه ص 213.

الدكتور أحمد محمد سالم: (ونحن بدورنا نسأل طلعت حرب هل تضل علاقة الرجل بالمرأة قائمة مثل ما كانت في العصر الحجري, قائمة على مبادئ القوة أم أنها تتغير لكي تساير التقدم والرقي الإنساني في كافة المجالات؟!! يريد طلعت حرب أن يقيمها وفق مبادئ العصر الحجري)[44].

وإذا كان قاسم أمين يرى أنه لو أعطيت حريتها سوف تنمو مداركها مثل الرجل فان طلعت حرب لا سلم بذلك مطلقا وإن المرأة لا يمكن أن تساير الرجل في اكتشافات العلمية واختراعاته ويرى دكتور محمد سالم إن أراء طلعت حرب طلعت حرب انعكاس لأراء محمد فريد وجدي الذي يرى أن المرأة كائن شريف خصه الله بوظيفة شريفة هي تكثير النوع كما أن الرجل أكثر شدة وصلابة من المرأة، وهذا يدل على أن أصحاب التوجيهات المحافظة يوظفون الفروق البيولوجية لصالح الرجل وتوفوق الرجل وعين ما ذهب إليه محمد احمد البولاقي وعبد المجيد خيري الذي قام بحشر كافة المعلومات التي تبين الفروق البيولوجية بين المرأة والرجل لصالح تفوق الرجل[45].

هذه بعض من علامات انفتاح الطريق أمام المرأة لتحقيق المساواة ولكن للأسف هذه الطريق عبدها الرحل لا المرأة نفسها ولعل قاسم أمين كان اجهر صوتا وقد انتزعت من كتبه وآثاره هذه المبادئ التي تدور حول المساواة وهي:

- على المرأة العربية نزع الحجاب
- أن يكون لها حق الطلاق
- أن يمنع مطلقا تعدد الزوجات
- تحديد الشروط التي يسمح بها للرجل إعلان الطلاق

([44]) نفسه ص 213.

([45]) نفسه ص 214- 215.

(ISSN : 2536 - 9555)

- ضرورة تعليمها كالرجل سواء بسواء
- أن يفسح ويضمن لها العمل
- أن تشترك في النشاط العلمي والسياسي والاجتماعي[46]

فهل يعني كل هذا أن المرأة أصبحت على هامش قضيتها؟

الحركات النسائية ومبدأ المساواة:

تمثل عائشة تيمور من الأصوات الشرقية التي نادت سنة 1896 بمساواة المرأة العربية المسلمة مع نظيرتها الأوربية[47] ثم أسست هند نوفل اللبنانية مجلة (الفتاة) في القاهرة ثم تلتها مجلة (السعادات) (البنات) ثم (فتاة الشرق) التي كانت مسرحا لأقلام نسائية نابهة كملك خفي ناصف[48] إلى جانب ذلك تأسست في مصر كلية خاصة بالبنات.

ومما ساهم أيضا بتنوير المرأة ودفعها قدما إلى مزاحمة الرجل سعيا نحو تحقيق المساواة الكاملة التي تذوب معها الاختلافات البيولوجية مفكرات وأدبيات مثل مي زيادة وسهير قلماوي وأمينة السعيد وهدى شعراوي وبنت الشاطئ وسوى هنة، فهذه مثلا هدى الشعراوي التي تعرضت لهجوم عنيف من قبل المحافظين ترى أن الإسلام منح المرأة حقوقا لم تحصل عليها من قبل والتي تقاتل وستقاتل المرأة العربية في سبيل الحصول عليها اليوم وغدا وقد احتفظت المرأة في هذه الساعة بهذه الحقوق الذي يعترف بها القانون الديني، غير أنها لم تفكر في استعمالها بسبب الجهل الذي نشأة فيه ودرجت أربعة قرون كاملة فالمرأة المسلمة

([46]) علي شلق، المرجع السابق ص 33.

([47]) إجلال خليفة، الحركة النسائية الحديثة قصة المرأة العربية على أرض مصر، القاهرة، 1973، ص 30– 31. ينظر علي شلق، المرجع السابق ص 34.

([48]) خليفة، المرجع السابق ص 36، ص 44، ص 46.

تتمتع بالحياة الدينية بكفاءة كاملة لأن القانون يكفل لها الاستقلال التام في التصرف في أملاكها متى بلغت سن الرشد ومن دون الحصول على إذن زوجها والاشتراك في أي عمل تجاري أو مالي بالتساوي بين الرجل مع التسليم فيما اقتضته الشريعة في الميراث[49].

وترى هدى الشعراوي بأنه من الضروري حصول المرأة على حقوقها السياسية كاملة ورفع هذا الحق إلى التشريع والتنفيذ حتى تتمكن من معالجة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وبخاصة ما كان منها متصلا بشؤون المرأة والطفل ومن ثم فإنه من الضروري أن يسمح قانون الانتخابات بإشراك النساء مع الرجال في حق الانتخاب ولو بقيود كاشتراط التعليم وهو ما يعني ضمنيا تخوفها من المحافظين دوما ولهذا باشتراط التعليم في المرأة كأساس لمنحها حق الاقتراع كما أنها ترى أن هذا الحق هو وسيلة تمكن المرأة من المساهمة في التشريعات التي تخصها[50].

صوت النساء في المؤتمرات الدولية والصدى:

إنه كنتيجة لتطورات المطالب النسائية كما وكيفا لم يعد بمقدور الساسة تجاهل هذه المطالب خصوصا وأنها باتت كتلة انتخابية وبات من الواجب التسابق على استمالتها من هذا الطرف أو ذاك وكنتيجة لذلك تم عقد الكثير من المؤتمرات الداخلية والخارجية ففي عام 1974 عقد في بيروت مؤتمر تحت عنوان (وضع المرأة في دساتير الأقطار العربية) ناقش فيه المؤتمرون المرأة وقوانين الأحوال الشخصية، المرأة والعمل، المرأة والسياسة وصدرت عن المؤتمر توصيات تناولت:

([49]) محمد سالم، المرجع السابق ص 216.

([50]) نفسه ص 217- 218.

(ISSN : 2536 - 9555)

- مساواة المرأة بالرجل.
- تحديد الحد الأدنى للزواج ب 18 سنة للفتاة، 22 للفتى.
- إلغاء دور الولي في الزواج.
- منع تعدد الزوجات.
- إعطاء المرأة حق الطلاق عند زواج الرجل بثانية.
- الاعتراف بحق المرأة في مجال النقابة والسياسة.

وفي عام 1975 عقد في بغداد مؤتمر حول موضوع العمل للمرأة وفي عام 1952 فتحت الثورة المصرية باب حرية المرأة على مصراعيه وأعلنت مساواتها التامة بالرجل على أساس الديمقراطية وعندما صدر دستور الجمهورية منحت المرأة حق الانتخاب بنص دقيق وصريح ومشرف: (يجب أن تكون المرأة مساوية للرجل وأن تزال كل العوائق التي تمنع تطورها الحر وذلك كي تتمكن من أداء دورها الخلاق في بناء بلادها) على ما ترتب على ذلك من نتائج ايجابية.

وفي سوريا منحت المرأة حق الانتخاب والترشيح وشاركت في انتخابات 1971 وصد مرسوم رقم 121 بإنشاء الاتحاد النسائي[51].

وتشارك المرأة العربية اليوم حتى في الحياة العسكرية وبكل كبرياء وهي تسهم في الحياة السياسية مساهمة فعلية وكذا في الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية والإعلامية إن الربع الأخير من القرن العشرين شهد بدايات تحول كبير لدى المرأة العربية أدى إلى مساواتها بالرجل ورغم التفاوت الحاصل مع بعض الأقطار العربية فالعصر عصرها اليوم.

([51]) خليفة المرجع السابق ص 184. وينظر علي شلق المرجع السابق ص 34.

خاتمة

بعد هذا العرض يمكن القول أن دعاة المساواة متفقون من حيث المبدأ على المساواة بين الجنسين لكن الكيف وآلية التنفيذ مختلفون عليها سواء في العالم العربي الإسلامي أو في العالم الغربي لكن الشيء المؤكد أن قضية المساواة باتت مطروحة بقوة وهي تحتل حيزاً لا بأس به في تحديات العصر, حتى رأى البعض أن مشكلة المرأة تحل نفسها تدريجياً وتلقائياً بتطور المجتمع وللتذكير فإن تبدلاً حقيقياً قد حدث. وفي إطار هذا التبدل والتحول النوعي إذن فالمرأة أولاً وآخراً إنساناً لا جسداً, فعليها أن تشترك في جميع الميادين العامة وأن تتساوى مع الرجل في الحقوق وخاصة في إطار الأحوال الشخصية وأن تكون كائناً بذاتها لا بغيرها.

فتحقيق المساواة لا يتم بالفراغ أو عزلة أحد الطرفين عن الآخر بل في الكفاح والمشاركة لذلك يكون موضع حركات التحرير النسائية رغم كل شيء ضمن حركات تحرير المجتمع وليس خارجها. فتحقيق المساواة لا ينمو فجأة بل يتكون من خلال ممارسة العمل المشترك بين الرجل والمرأة.

فالمرأة تشكل قوة داخل أي مجتمع وفيه لا بمعزل عنه وهنا لا يجب أن يخفى على احد أن المرأة ناضلت نضالاً حثيثاً من أجل تحقيق مبادئ المساواة حتى ضد نظيراتها فبعض النساء يقاومن التحرر ويجب أن لا يتم إنكار أن المرأة قد تضطهد المرأة ومن ذلك اضطهاد السيدة للخادمة وكذلك اضطهاد الكنه للحماة أو العكس في الحال الأخيرة، ومن هذا وذاك فإن حل مشكلة المرأة يكون بمشاركتها في سبيل إقامة نظام جديد تكون فيه كائناً بذاته وإنساناً لا دوراً أو وظيفة على أن يتم إقامة هذا النظام وفق أسس وضوابط أخلاقية مستمدة من الشرائع السماوية.

(ISSN : 2536 - 9555)

قائمة المصادر والمراجع

المراجع العربية:

1- إجلال خليفة, الحركة النسائية الحديثة, قضية المرأة العربية على أرض مصر, القاهرة.

2- أحمد محمد سالم, المرأة في الفكر العربي الحديث, القاهرة, 2011.

3- مثنى أمين الكردستاني, حركات تحرير المرأة من المساواة إلى الجندر, دراسة إسلامية نقدية, تقديم ا.د محمد عمارة, القاهرة, الطبعة الأولى، 2004.

4- مركز دراسات الوحدة العربية, المرأة ودورها في حركة الوحدة العربية, بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية, بيروت, الطبعة الأولى، 1982.

5- نظرية المساواة في الشريعة الإسلامية, زينب رضوان, 2009.

6- فاطمة الزهراء أزرويل, المسألة النسائية في الخطاب العربي الحديث من التحرير إلى التحرر, الطبعة الأولى، 2004.

المراجع الأجنبية والمترجمة:

1- وليام تشيف, المرأة الأمريكية, أدوارها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية 1920- 1970, ترجمة نور الدين الزواري, القاهرة، 1979.

2- سارة إيفانز, الحرية ونضال المرأة الأمريكية, ترجمة أميرة فهمي, القاهرة, الطبعة الأولى, 1992.

المقالات:

1- جورجيت قليني, من يحاول إبعاد المرأة يحكم على المجتمع بأن يحجل بقدم واحدة, جريدة الأهرام, الجمعة 2012/12/14, العدد.46029

2- نوال السعداوي, ثمن الحرية والعدالة والكرامة, الأربعاء 2012/12/12 العدد 46027.